جُثَّةٌ لِلْبَيْعِ

- بقلم\ منة النجَار-

المقدمة

هذه ليست قصة رعب عادية بل هى لعنةٌ... إن شعرتَ بوخزةٍ في قلبك أثناء القراءة، أو سمعتَ صوتًا خلفك فأنت المستهدف التالي. وتذكّر يا صديقي... بعض اللعنات لا تحتاج إلى طقوسٍ أو تعاويذَ، يكفي أن تقرأ عنها لتصبح جزءًا منها.

الفصل الاول: اللعبة بدأت الآن .....

جالسٌ على الأرضية وعيناهُ مغلقتان بإحكام ويداهُ مكبلتان خلف ظهره و همساتُ صوته الدخلى تعلو وتعلو وكأنها أشخاصٌ تتحدث من حوله. جالسٌ والقشعريرةُ تهز جسده وخصلاتُ شعره تتطاير من حوله. غرفةٌ مُحكمةُ الإغلاق، نورُها باهتُ وأيضًا مصباح يتذبذب. يوجد نافذه ولكن لا تدخل منه أشعةُ الشمس فلا تعرفُ هل هذا نهارٌ أم ليل؟ سمع صوتَ أقدامٍ تتحرك ناحية الباب، فاحتضنَ جسده بيديه وصرخ :

- لا لا كفاية كفاية.

فُتح الباب وجاء صوتُ الأقدامِ إليه فبدأ يزحف ولكن إلى أين؟ وهو لا يرى شيئًا بينما جسدُه يترنح هنا وهناك حتى أمسكَت به يدٌ وأخرجَته بقوةٍ مندفعَةٍ

إلى الباب.

******

"صحيح! نسيتُ أن أُخبرَك بأمرٍ ما أنا اسمي ياسين ولا أعلمُ عندما تسقطُ هذه المُذكراتُ بين يديك هل سأكونُ حيًّا أُرزَقُ أم لا؟ ولكن الشيءَ الوحيدَ الذي أعلمُهُ هو أنني أنا من أنهى حياتهُ بيديه بل وحياةَ بعضِ الآخرين أيضًا عندما أغواني الشيطانُ وسقطَتْ مهنتي الشريفة.

لا تعلمُ حتى الآن ما هي مهنتي؟ حسنًا دعني أُخبرُك أنا طبيبُ تشريح. كنتُ أعيشُ مع الجثثِ كما تعيشُ أنت مع أسرتك الكريمة.

أأصابتك القشعريرة؟ لماذا يا صديقي؟! فهي أجسادٌ هامدةٌ من عند الله ولكن الروحَ قد رجعت إلى بارئِها فما الخوف؟ نعم سمعتُك تقول إن الجثثَ تتحركُ في الليل أو يحدثُ لها شيءٌ أثناء التشريح! أو تُغلقُ عينٌ و تُفتحُ أخرى!

لا يا صديقي فهذه مشاهدُ من أفلامِ هوليوود فقط، نوعٌ من أنواعِ الرعبِ الفاشل حتى يغزو عقلكَ الخوفُ والقلقُ والتوترُ عندما ترى جثة!

أنا لا أعلمُ من أين حصلتَ على هذه المُذكرة ولكن دعني أستسمحُك أن تقرأها بعناية ولكني أيضًا أُحذرك... إياك أن تُصيبَكَ اللعنة! لعنة؟ لعنةُ مَن؟ لعنةُ الجثة... فهى كانت جثةً للبيع!"

******

قاطع طَرْقُه البابِ قراءتَه الممتعة حيث دخلت والدته إليه وقالت:

- محمد هو انتَ جيت إمتى؟

= مِبقاش نص ساعة ومرضتش أقلَّق نومك.

- طب كلت؟ احضرلك العشا؟

= لا كلت أنا النهارده نزلت سور الأزبكية وجبت أكل.

- ماشي يا حبيبي.

وأثناء خروجها لمحت الهاتفَ يضيء فقالت:

- موبايلك بيرن.

ثم خرجت وأغلقت الباب،أمسك محمد هاتفه ليجد 17 مكالمة فائتة ثم عاود الاتصال فرد عليه صوتٌ أنثوي غاضب:

- محمد هو انتَ فين؟

= طب اهدي طيب.

- اهدي إيه! انت عارف أنا اتصلت كام مرة؟!

= 17 مرة.

- يا برودك يا أخي! طب بعد الـ17 مرة دول مَفَكرتش تتصل يمكن في مصيبة؟

= الموبايل كان سايلنت ونسيت أفتحه بعد الميتينج.

- ماشي يا محمد هو طبعك ولا هتشتريه من برَّه.

= يا حبيبتي أنا آسف وبكرة بعد الشغل هعدِّي عليكي أصلحك، بس سيبيني أنام دلوقتي أنا تعبان جدًا

- ماشي، سلام.

= سلام.

وهكذا انتهى يومُ محمدَ الروتينيُّ المُمِلُّ لشابٍّ في عمره يُكافح بين التوفيق في عمله ونور خطيبته.

فتحَ محمدُ عَيْنَهُ على صوتِ المُنبِّه المُزعِج ليُغلِقَه سريعًا ثم نهضَ إلى روتينِه قبل أن يتجهَ إلى عملِه،قبل مغادرتِه لغرفته لَمَحَ وجودَ المُذَكِّرةِ على المكتب لكنه مُتَأَكِّدٌ بل وكُلُّهُ يَقينٌ أنه تَرَكَهَا بجانِبِه على السريرِ قبلَ نومِه ولم يُشغِلْ بالَهُ كثيرًا بوجودِها فمنَ الممكنِ أن تكونَ والدتُهُ قد وَضَعَتْهَا ليلًا بعدَ الاطمئنانِ عليه.

يومٌ مثل أيِّ يومٍ في العمل لا شيء جديد. في يده كوبُ القهوة متجهٌ إلى مكتبِه لتمُرَّ به الساعاتُ المعتادةُ المُملَّةُ في العمل حتى يأتي وقتُ الانصراف فيأخذ سيارتَه مُتجهًا إلى المكانِ المعتاد ليُقابلَ فيه نور وكان هو نفسَ المكانِ الذي قابلها فيه أولَ مرةٍ وأحبها منذ اللحظةِ الأولى عندما شاهدها تبتسمُ في خجلٍ أثناء عيد ميلادِ صديقٍ لهما مُشترك.

جلسَ وانتظرَ عشرَ دقائقَ حتى جاءت وجلسَت أمامه بوجهٍ حزينٍ وبارِدِ المشاعر. ابتسمَ لها فلم تبتسم له. حاولَ تقليدَ ملامحها الحزينة، فمن هنا ضحكَت قائلةً:

- كل مرة بتضحك عليَّا.

= يا ست البنات أنا مَقدَرْش! أنا بس نسيت أفتحه زي ما قلت لك وحقك عليَّا معلش ها بقى هتأكلي إيه؟

قبل أن تنطِقَ بكلماتِها قال:

= بيتزا عارف حاضر

ابتسمَت له قائلةً:

- هتجوزك وأمري لله.

و مع دقات العاشرة عادَ محمدٌ إلى بيتِه وأطلقَ السلامَ على أهلِه فسألَته والدتُه عن العشاء فَأشارَ بيدِهِ نافيًا وأخبرَها أنَّهُ بالفعلِ حصلَ على العشاءِ مع نور ثمَّ توجَّهَ إلى غرفتِهِ ورمى بجسدِهِ على السرير وأخذَ يُتصفِّحُ هاتفَه. مرَّ عليهِ نص ساعه من الوقتُ دونَ أن يُدرِكَ حتى سَمِعَ هَمَساتٍ تُنادِيهِ باسمِهِ.

******

أطلقَ بعينَيهِ النظرَ إلى غرفتِهِ فلم يَجِدْ شيئًا. سُرعانَ ما عادَ إلى تصفُّحِ هاتفِهِ مَرَّةً أُخرى حتى عادَ الصوتُ له ولكن هذه المرةَ كانت الهمساتُ أعلى تركَ هاتفَه ثم قامَ يُفَحِّصُ الغرفةَ شمالًا ويمينًا وهنا وهناك حتى رمَى بعينِهِ النظرَ إلى المُذَكِّرة ليعودَ الفضولُ لهُ مَرَّةً أُخرى ، جلسَ على المكتبِ وبدأ من حيثُ توقَّف.

"لماذا أغلقتَ يا صديقي؟ هل شعرتَ بالخوف؟ "

فأخذَ محمدٌ يلتفتُ حولَه ثم عاودَ القراءةَ

"لا تنظرْ حولَك أنتَ هنا وحدَك"

عادَ ينظرُ مَرَّةً أُخرى حولَه على أملِ وُجودِ شخصٍ أو شيءٍ ما يُراقبُه ثم أكملَ القراءةَ

"لا تنظرْ حولَك أنتَ هنا وحدَك"

دقَّاتُ القلبِ ها هي تعلو شيئًا فشيئًا وأحسَّ محمدٌ بالحَرارةِ الشديد فرجعَ ينظرُ حولَه مَرَّةً أُخرى فلم يجدْ شيئًا ثم أكملَ قراءتَه

"ألم تُصدِّقْني؟ أنا أقولُ لك أنتَ هنا وحدَك فلا داعيَ للخوفِ ودعني أُكملُ لكَ حكايتِي...

منذُ أوَّلِ يومٍ لي في المشرحةِ العامَّة كنتُ أكفأَ زملائي في العملِ وأمهرَهم

برغمِ صِغَرِ سنِّي بينهم إلَّا أنَّ اسمي أصبحَ يُتداوَلُ هنا وهناك بين المشارح صحيحٌ أنَّ مهنتي ليستْ سهلة ولكني أحبُّها فهذه الجُثثُ لا حولَ لها ولا قوة فما الخوفُ منها! فكلُّنا لها كلُّنا آتُونَ من الأرضِ وذاهبونَ إليها ، نشأتُ في أُسرةٍ فقيرة بين خمسةِ أشقاء وأنا الأوسطُ بينهم والوحيدُ الطبيبُ فيهم.

نعم أسرتي مثلُ أيِّ أسرةٍ مصرية تتباهى بوجودي بين العائلةِ والاصدقاء ولكنَّ الفقرَ لم يمنعْ وَصْلي فأنا أسيرُ على قدراتى.

واختصارًا للوقت يا صديقي سأتلو عليكَ حكايتِي بعدَ التدرِيب وعند استلامي أوَّلَ عملٍ لي"

سَمِعَ محمدٌ أذانَ الفجرِ ليجدَ أنَّ الوقتَ أصبحَ الخامسةَ ولكن كيف؟ كيف لقراءةِ خمسِ أو ستِّ أسطرٍ أن تجعلَ الوقتَ الخامسةَ فجرًا؟!

******

الفصل الثاني: واقِع أم حُلم؟

ها هو المُنَبِّهُ المُزعِجُ يَرِنُّ مرةً أُخرى ليستيقظَ محمدٌ بإحساسِ جسدٍ مُتهالِك وكأنهُ جَسدٌ هامِدٌ مُنذَ آلافِ السنينِ أو القُرون .

نهضَ من فراشهِ مُستعدًا لروتينِه ما قبلَ العمل وأمامَ المرآةِ كان يَعكِسُ وَقفَتَهُ وهو في أتمِّ الاستعدادِ للذهابِ إلى العمل مُنْدَمِجٌ في مَظهَرِهِ ومُندَمِجٌ في مَلامِحِهِ لدرجةِ أنهُ لا يَسمَعُ صوتَ نداءِ والدتِهِ.

نظرَ إلى المكتبِ المُنعَكِسِ في المرآةِ ولكنْ لا يوجدُ شيء، المذكرةُ لا وُجودَ لها لكنهُ مُتيَقِّنٌ أنهُ تَرَكها هنا ، أخذَ يَبحثُ بلا أثرٍ لها. بدأَ يُفَكِّرُ متى كانت آخرُ مرةٍ قرأَها؟ ولكنهُ لا يَتَذَكَّر.

يَدُورُ حولَ نفسِهِ في مَتاهَةٍ لا يَعلَمُ أينَ هوَ المُخرَج؟ بدأَ يَضَعُ يَدَهُ على رأسِهِ وكأن الجسدُ واقِفًا والكونُ هوَ الذي يَدورُ من حولِهِ لم يَستَيقِظْ من هذهِ الحالةِ إلا عندما رَنَّ هاتفُهُ، فَرَدَّ بِصَوتٍ مُرتَعِشٍ:

- ألو... ألو...

يَرُدُّ عليهِ صوتٌ أُنثَوِيٌّ بِتَوَتُّر:

= محمد مالك؟ في إيه؟ صوتَك ماله؟ نَفَسَك نَفَسَك ليه عالي؟ طب إنت كويس؟

- آه آه كويس.

أخذَ يَتَنَهَّدُ بِتَنَهُّدَةٍ ليستْ طويلةً وأكمَلَ:

- أنا مستعجل على الشغل... ونازِل... ح... ح... ال...

قبلَ أنْ يَنتهيَ مِنْ حديثِهِ وَجَدَ المذكرةَ أمامَهُ على المكتبِ كما كانتْ و أخذَ يَتَحَرَّكُ ناحِيَتَها بِبُطْء ونورُ ما زالتْ تُلقي كَلِماتِها "ألو... ألو... محمد سامعني؟

سَحَبَ المذكرةَ بِحِرصٍ حتى سَقَطَ هاتفُهُ وانتَفَضَ جَسَدُ محمد.

******

تتساقطُ بعضُ قطراتِ الدماءِ من المذكرةِ على الأرضِ فتحوّلتْ إلى بُرْكةٍ من الدماءِ وأخذتْ قدمُ محمدٍ تتساقطُ داخلها وكأنَّ يدًا تتشبّثُ به لتسحبَهُ إلى أسفل يقاومُ ويُقاومُ بدونِ أيِّ جدوى ، حاولَ جاهدًا الصراخَ ولكنَّ الأحبالَ الصوتيةَ لا تُصدرُ صوتًا , حاولَ إمساكَ أيِّ شيءٍ أمامهُ يستعينُ به لمساعدتهِ ولكنهُ فشلَ أيضًا. أصبحتْ رأسُهُ فقط هي الظاهرةَ من البُرْكةِ بينما باقي الجسدِ غارقٌ في الدماءِ حتى غرقتْ رأسُهُ هي الأخرى واختفتْ البُرْكةُ معها وعادَ كلُّ شيءٍ كما كان.

******

مكانٌ مكوَّنٌ من سبعِ غرفٍ متقابلةٍ، ثلاثُ غرفٍ بلا إضاءةٍ وغرفةٌ تُضيءُ بإضاءةٍ مُتذبذبةٍ وأخرى بإضاءةٍ واضحةٍ أما آخرُ غرفتين فأبوابُهما مُوصدةٌ.

أفاقَ محمدٌ وأخذَ ينظرُ حولَه لكنهُ لا يرى شيئًا فلا توجدُ أمامهُ إضاءةٌ واضحةٌ. وضعَ يدَهُ في جيبِهِ مُستنجدًا بإضاءةِ الهاتفِ وكان بدون اثر .

حاولَ النهوضَ وهو يُقاومُ ألمَ جسدِهِ وأخذَ يَستندُ إلى الجدرانِ مُتحرّكًا بخُطواتٍ بطيئةٍ حتى سمعَ صوتَ ضحكاتٍ تتعالى من إحدى الغرفِ. توقَّفَ للحظاتٍ وأخذَ يُدركُ أنهُ ليس في العملِ ولا في المنزلِ ومع هذا الظلامِ باتَتْ رؤيتُهُ غيرَ واضحةٍ وغيرَ مُكتملةٍ، رغمَ وجودِ غرفةٍ مُضيئةٍ إلا أنَّها

تقعُ في آخرِ الممرّ بعيدةً عنهُ كُلَّ البُعدِ.

تحوَّلتِ الضحكاتُ إلى حديثٍ غيرِ مفهومٍ وهُنا أدركَ أنَّ الأصواتِ ليستْ لشخصٍ واحدٍ بل لعدَّةِ أشخاصٍ. لم يتمكنْ من تحديدِ عددِهم بدقَّةٍ لكنهُ كانَ واثقًا بأنَّهم أكثرُ من شخصٍ.

قرَّرَ محمدُ الذهابَ إلى الغرفةِ المُضيئةِ ليعرفَ ماهيَّةَ هذا المكانِ ومن يكونُ هؤلاءِ الأشخاصُ ومع أوَّلِ خطوةٍ له أضاءَ نورٌ خافتٌ فوقَه وكأنَّهُ جهازُ استشعارٍ التقطَ وجودَهُ ليُضيءَ المكان.

نظرَ حولهُ ليجدَ ممرًّا مُحاطًا بالغرفِ وسرائرَ أكلها الصدأُ ومكانًا مُتهالكًا بجدرانٍ متشقِّقةٍ وأخرى مُنهارةٍ على الأرض ومن المنظرِ أدركَ على الفورِ أنَّهُ داخلُ مستشفى.

أخذَ يقتربُ من الغرفةِ التي بها إضاءةٌ فازدادتِ الأصواتُ علوًّا حتى سمعَ جُملةً واضحةً

"يلا بينا يا شباب عشان نبدأ"

تحرَّك محمدٌ ناحيةَ الغرفةِ التي يصدرُ منها الصوتُ ووضعَ يدَهُ بحرصٍ شد يدٍ على البابِ و لكنَّهُ فُتِحَ من قِبَلِ شخصٍ آخرَ ثمَّ دَخَلَ الغرفةَ. كان الرجلُ يحملُ في يدِهِ أكوابًا من القهوةِ ويُقدِّمها لباقي الأفرادِ المُتواجدين قائلًا:

- أتفضل ياريس قهوتك.

=تسلم ايدك يابدوي , نشرب القهوه ونبدا الشغل.

وما زال محمدٌ واقفًا أمامَ البابِ يُشاهِدُ تحرُّكاتِهم وينظرُ إلى الغرفةِ ليرى تفاصيلَها.

غرفةٌ جدرانُها بلونِ الأخضرِ الزيتونيّ الفاتحِ وبها سريرٌ كبيرٌ وبجانبهِ طاولةٌ متوسِّطةُ الحجمِ تحتوي على أدواتٍ طبيةٍ، كما توجدُ أريكه صغيرةٌ

ينامُ فوقَها شخصٌ غارقٌ في أحلامِه. تحرَّك بدوي ناحيةَ الريِّسِ قائلًا:
- يادكتور ياسين انهارده الحاله طفل صغير.
تحدَّثَ محمدٌ بصوتٍ عالٍ: "هو ده الدكتور ياسين؟" ثمَّ وضعَ يدَهُ على فمِهِ بعد أن نظرَ إليه الطبيبُ ياسينَ بحدَّةٍ، ثمَّ ابتسمَ له ابتسامةً ممزوجةً بالخبثِ.

******

فجأةً اختفتِ الأرضُ من تحتِ قدمي محمدٍ وسقطَ مرَّةً أخرى ولكنَّ هذه المرَّةَ كانت صرخاتُهُ مسموعةً حتى اصطدمَ بالأرضِ في غرفتهِ.
نهضَ مسرعًا وصوتُ أنفاسِهِ عالٍ يكادُ يُوقِفُ قلبَهُ. تحدَّثَ مع نفسهِ بصوتٍ عالٍ: "أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ، أكيدْ حلم... أكيدْ ده حلم!"

******

الفصل الثالث: الجثةُ الاولَى

فتحَ بابَ غرفتهِ مُسرعًا متَّجهًا إلى والدتهِ ليطمئنَّ عليها. ارتمى في حضنِها، فأخذتْ تقرأُ له القرآنَ ليهدأ وتعودَ أنفاسهُ للاستقرارِ حتى بدأَ في النومِ.
وبعدَ فترةِ استراحتهِ النوميَّةِ استيقظَ محمدٌ وذهبَ إلى والدتِه ليسألَها "كمْ من الوقتِ مضى؟" فخاطبتْهُ هيَ الأخرى"مرَّت ساعتان." ثم نَبَّهتْهُ إلى أنَّ اليومَ هو عيدُ ميلادِ نور, قبَّلَ رأسَها وأخذَ يستعدُّ لمقابلةِ نورٍ في مكانِهِمِ المعتادِ.
انطلقَ بسيارتِهِ مُتَّجهًا إلى سورِ الأزبكيَّةِ قبلَ توجهِهِ لمقابلتِها وأخذَ يتمشَّى في حواري سور الازبكيه حتى وصلَ إلى المكتبةِ التي اشترى منها المُذَكِّرَةَ. لمْ يكنْ يتذكَّرُ مكانَها بالضبطِ ولكنَّ عقلَهُ ساعدَهُ قليلًا وحصلَ ما لمْ يكنْ مُتَوَقَّعًا... المكتبةُ مُغلَقَةٌ!

******

بَقِيَ أمامَها على أملِ أنْ يظهرَ صاحبُها ليُناقشَهُ.

كانتِ الشمسُ حارقةً والعطشُ بدأَ يزورهُ حتى اقتربَ منهُ شخصٌ قائلًا:

- اقدر اساعدك ازاى يابشمهندس؟

= انا عاوز اوصل لصاحب المكتبه دى من فضلك..

نظرَ إليهِ باستغرابٍ قائلًا:

- ليه؟

= اشتريت منه المذكره دى وعاوز استفسر عن شويه حاجات.

- لا والله هو مش موجود يافندى.

= طب قولى يكون متواجد فين او عنوانه او دلنى على رقمه.

- عنوان ايه ياستاذ بقولك مات.

= مات ايه ياعم انا شاري المذكره دى الاسبوع الفات.

- فات ايه ياستاذ! ده ميت من تلات سنين وبالله عليك شوف طريقك فين ومتوجعش قلبى معاك.

أنهى الرجلُ كلامَهُ وتركَ محمدًا في حيرتِهِ التي بدأتْ تزدادُ يومًا بعدَ يومٍ.

ركبَ سيارتَهُ مُتَّجِهًا إلى مقابلةِ نور.

دخلَ إلى المطعمِ وجلسَ مُنتظرًا إيَّاها, ينظرُ إلى ساعتِهِ ملتهبًا شوقًا لرؤيتِها.

جلسَ مُتوترًا يهزُّ قدمَهُ حتى سمعَ صوتَ حذاءٍ بكعبٍ عالٍ يقتربُ. انتبهتْ أُذناهُ إلى صوتِهِ وبدأَ قلبُهُ يرتعشُ فرحًا بوجودِها , ابتسمتْ لهُ ابتسامةً أنيقةً كفستانِها الأسودِ وشعرِها الطويلِ المُنسدلِ وأحمرِ شفاهِها اللامعِ.

نظرَ لها بحبٍّ عميقٍ لا يعرفُ متى وُلِدَ كلُّ هذا الحبِّ لها. برغمِ ازدحامِ المكانِ بالموسيقى وأصواتِ البشرِ إلا أنَّه لا يسمعُ أحدًا سواها. توقَّفَ العالمُ من حولهِ وبدأَ يتعرَّقُ وأحسَّ بحرارةٍ شديدةٍ فجلستْ أمامهُ ضاحكةً قائلةً:

- محمد هو انت لسه بتتوتر؟

= ما هو انتي اللي زي القمر بصراحة ويا بختي بصراحة كده.

اعتدلتْ في جلستِها وظهرَ شموخُها قائلةً بابتسامةٍ:

- ده كده كده وغصباعنك.

ضحكَ محمدُ، ووضعَ عُلبةَ الهديةِ أمامَها وأكملَ:

= كل سنة وأنتِ معايا..

فتحتْ العُلبةَ، وابتسمتْ قائلةً:

- واو! تحفة أوي يا حبيبي، ربنا يخليك ليا. بس دي غالية أوي!.

= مفيش أي حاجة تغلى عليكي.

ثم قبَّلَ يدَها أنتهى احتفاله بها.

عادَ محمدُ إلى منزلِه وتوجَّهَ إلى غرفته. فتحَ البابَ فوجد الغرفةَ مختلفةً تمامًا! الديكورُ غيرُ الديكور والأثاثُ ليس أثاثَهُ أغلقَ البابَ ثم أعادَ فتحَهُ فوجدَ نفسَ الغرفةِ مجددًا. نظرَ إلى الصالةِ فكانت الصالةِ منزلهم ولكنَّ الغرفةَ ليستْ بغرفتِهِ!, أغلقَ البابَ مجددًا وأغمضَ عينَيه وتنفسَ بصوتٍ عالٍ ثمَّ فتحَهُ مرَّةً أخرى ولكنَّ هذه المرةَ وجدَ رجلًا عجوزًا جالسًا في يدهِ قلمٌ ومُذكرة ومن الواضحِ أنَّه منهمكٌ في الكتابةِ. راقبَهُ محمدُ من زاويةِ البابِ لكنَّ العجوزَ لم يدركْ وجودَهُ..

كانَ رجلًا شائخًا، شاحبَ اللونِ يميلُ إلى الأزرقِ، وكأنَّ الدمَ هاربٌ منه. ذوشاربٍ ليسَ بطويلٍ ولا قصيرٍ، شعرُهُ أبيضُ مُجعَّدٌ وهالاتٌ سوداءُ تُغطِّي منطقةَ عينيهِ ووجهُهُ مجعَّدٌ وكأنَّ الزمنَ قدْ رسمَ عليهِ لوحتَهُ القاسيةَ.

سحبَ محمدُ قدمَهُ مقتربًا منهُ فأحسَّ العجوزُ بهبوطِ رياحٍ آتيةٍ من ناحيةِ البابِ فظنَّ محمدُ أنَّهُ قدْ رآهُ لكنَّ العجوزَ لم يتحركْ ولم يُصدِرْ أيَّ ردِّ فعلٍ فأنَّهُ لم يشعرْ بهِ. عادَ العجوزُ مجددًا للكتابةِ.

" بعدَ فترةِ تدريبي وأصبحتُ الطبيبَ الشرعيَّ للمشرحةِ استلمتُ أوَّلَ حالةٍ لي دونَ رقيبٍ وكانتْ جثةَ طفلٍ صغيرٍ ذو ثمانيةِ أعوامٍ وُجِدَتْ جثَّتهُ في منطقةٍ مهجورةٍ بالقربِ من أحدِ المباني تحتَ قيدِ الإنشاءِ.

كنَّا في غرفةِ التشريحِ أنا الطبيبُ ياسين وبدوي الساعي وعم إبراهيم الذي يُدوِّنُ ملاحظاتي.

نعم أستطيعُ سماعَ سؤالكَ الآن يا صديقي أينَ هوَ الطبيبُ حديثُ التخرُّجِ لمساعدتي؟ لكنَّني دعني أخبركَ يا صديقي أنني لاأحبِّذُ وجودَ شخصٍ آخرَ أثناءَ تشريحي للجثثِ كما أنني أحبُّ العملَ في أوقاتِ الليلِ قبلَ الفجرِ.

نعودُ أدراجَنا يا صديقي كالعادَةِ أحضرَ بدوي القهوةَ وبدأتُ بالبسملةِ وأخذتُ المِشرَطَ وبدأتُ في فتحِ الجثَّةِ, الجثةُ في حالةِ تيبُّسٍ مما يشيرُ إلى أنَّ الوفاةَ حدثتْ منذُ 8-12 ساعةً تقريبًا. لا توجدُ إصاباتٌ ظاهريةٌ شديدةٌ مثلَ الجروحِ العميقةِ أو الطعناتِ. هناكَ شحوبٌ في الجلدِ، مع وجودِ ازرقاقٍ في الشفتينِ وكدماتٌ خفيفةٌ حولَ المعصمينِ. رغوةٌ بيضاءُ متجمعةٌ حولَ الفمِ والأنفِ مما قدْ يشيرُ إلى التسمُّمِ أو الاختناقِ. الأعضاءُ الداخليةُ سليمةٌ مما يدلُّ على أنَّ الطفلَ توفيَ نتيجةَ التسمُّمِ بمادةٍ كيميائيةٍ وعلى الأرجحِ، حالةُ انتحارٍ...

."

******

على وجه محمد استغرابٌ ودهشة، الآن صورةُ الطبيب ياسين قد اكتملت ولكن لا يعلم ماذا حلّ به أو لماذا هو متواجد في غرفةٍ تُشبه السجون أو ربما هي بالفعل غرفةُ سجن! لا يدخلها أشعةُ الشمس إلا البصيصُ منها وبابها مُصفّح، وحبسه انفرادي.

بدأ الصوت يعود اليه من جديد " محمد .... محمد " عاد محمد إلى وعيه،ووجد نفسه أمام المذكرة يقرأ منها. نفخ محمد نفسًا طويلًا وكأنه دخانٌ من بركانٍ بعد ثورانه، أصبح لا يُدرك الواقع من الخيال لا يعلم كم من الوقت مضى عليه هل هويومان أم ثلاثة؟ شهرٌ أم شهران؟! بات فضول محمد أكبر وأكبر وبدأت التساؤلات تتزاحم داخل رأسه. أمسك هاتفه وبدأ يبحث على منصة "جوجل" عن اسم الطبيب ولكن لم يظهر له شيءٌ مفيد فقط عناوين تحت مسمى "الدكتور المصري ياسين"ولكن المقال ليس عن طبيب التشريح ياسين. ازدادت عزيمته لمعرفة من يكون هذا الطبيب الشرعي؟ وما هي الطفرة التي حصلت له؟

تذكر محمد أن بداية المُذكرة ذكرت كلمة "لعنة" فبدأ يسأل نفسه هل اللعنةحلّت عليّ أنا أيضًا؟ أم أنه لا توجد لعنة من الأساس وكل هذا مجرد خدعةٍ تسويقية للمُذكرة! ظل يفكر ويفكر حتى غلبه النوم.

******

الفصل الرابع:العقلُ أَم القَلبُ !

أستيقظ محمد على الصوت الذي يناديه، فتح عينيه وكانت أشعة الشمس تملأ أركان الغرفة. فتحت والدته الباب ونادته لصلاة الجمعة. قام وتوضأ وهيّأ نفسه للصلاة وبعد انتهائه منها صعد إلى المنزل دون أن ينطق بكلمة كالمعتاد أن يُلقي السلام ويلاعب أخته الصغرى ويتبادل الحديث مع والده لكنه لم يفعل ذلك اليوم.

دخل إلى غرفته وأغلق الباب على نفسه، جلس على السرير وبدأ يُكمل قراءة المذكرة

" أين كنت كل هذه المدة يا صديقي ؟ فقد اشتقت إليك بالطبع الآن أنت تقرأ بدافع الفضول وأعلم أيضًا أن هناك أشياء كثيرة تحصل لك وأنت لا تفهم شيئًا أعلم كل هذا يا صديقي فقد كنتُ مثلك ولكنني الآن فهمت ما هي الحالة ، لا لم ولن أحكي لك شيء عن هذه الاشياء واختصارًا للوقت سأختصر عليك حكاية الجثة الثانية... كانت جثةً وُجدت في أحد الشوارع ولكن صدمتي لم تكن في الجثة ذاتها رغم أنها كانت دون رأسٍ ومنزوعةَ الأظافر بل كانت صدمتي الحقيقية عندما أدركت أن هذه الجثة تحديدًا مُباعة لمنظومة تُجار الأعضاء.

عرضوا عليَّ العمل معهم لكنني رفضت رفضًا قاطعًا، أغروني بالمال والذهب.

عقلي رفض ولكن قلبي مال وخصوصًا أن والدتي في ذلك الوقت كانت بحاجة إلى عمليةٍ ضرورية بمبلغٍ كبير وهنا ضعفتُ وقبلتُ بالمهنة فأصبحتُ تاجر أعضاء في النهار وطبيبًا شرعيًا في الليل!.

لم يقتصر الأمر على جثةٍ واحدة بل مئات الجثث! وفي ثلاثةِ أشهرٍ فقط تحوّل بيتنا الفقير الصغير إلى فيلا راقيةٍ في حي الشيخ زايد كما أنني رتبتُ

بيتي للزواج فقد كنتُ أبحث عن بنت الحلال ولكن... الخير لم يُردني فأنا من بعتُ نفسي للشيطان وأعوانه.

وبعد مرور الأشهر الثلاثة أصبحتُ محل ثقةٍ لديهم بل أصبحتُ أنا المسؤول عن تحديد الأسعار في المزاد .

لا تتعجب يا صديقي فأعضاءُ البشر لها أيضًا أسعارٌ ومزاد مثلها مثل أي تجارةٍ يعرفها العالم ولكنها تُباع في السوق السوداء. نعم فكّرتُ كثيرًا مثلك ولكن اتضح لي أن جزءًا من الشرطة يعلم بهذه التجارة ويحصلون على 5% من الأرباح وكل شيء يتم بسريةٍ تامة حتى اسم المنظومة وأسماءُ أعضائها لا نبوح بها كل شيءٍ يدور في الخفاء.

أغلق محمد المذكرة وظل ينظر إلى الجدران دون أن يرمش ومع الوقت تحول وأصبح غريب الأطوار. تغير من شخص محبوب ومحب للحياة إلى شخص لا يرغب فيها. ترك عمله بدون سبب صريح، تكاثرت خلافاته مع نور وأسرته، ينام بالنهار ويصحو بالليل، ينتهي وقته قبيل الفجر ويبدأ يومه مع أوقات المغرب مثله مثل الجان. أصبح كثير السرحان والشرود, تارة يقرأ المذكرة تارة أخرى ينظر إلى سقف غرفته أو جدرانها. سكنت الهالات السوداء تحت عينيه، ترك شعره يطول ولحيته أيضًا، شحب وجهه وهزل جسده ولم يكن يسمع عندما تناديه والدته أو تطرق الباب كانت تدخل فتجده ينظر إلى الجدران مرة بنظرة فيها رعب وخوف ومرة أخرى بنظرة مملوءة بالشموخ والكبرياء.

بات شخصًا آخر لا يحب الخروج، حتى لو لمجرد مغادرة غرفته. تحول الحال من حالٍ إلى حال، وتبدلت أحواله.

*****

الفصل الخامس:السَّاحِرِ !

مرَّ شهران على ذلك الوضع وازدادت الأمور سوءًا. قررت نور فسخ الخطبة وتحول الحب إلى رماد تناثر بدون أثر. لم يتأثر محمد بفسخ الخطبة كما تأثر عندما قررت والدته التخلص من المذكرة.

فقد كان مثل الوحش مغيّب العقل لا يتفاهم ولا ينطق بحرف يستخدم يديه بعنف وكأنه حيوان مفترس وحتى لغته أصبحت غير مفهومة ومعظم الوقت يتحدث مع جماعة داخل غرفته بمفرده.

حيث لم تكن فكره التخلص من المذكره فكره سديده , عادت المذكره اليه مره اخرى بعد تحوله ورجع يكمل قراءتها....

" صدقني يا صديقي الحكايات لم تنتهِ بعد. لقد رويت لك جزءًا كبيرًا من تجربتي وتحدثت عن الجثث و عن المزاد وعن وصولي إلى القمة إلى الغنى ولكن بدون تعفف. أصبحت نسخة مدمرة لي ولكل من حولي كالقنبلة الموقوتة التي قد تنفجر في أي لحظة. فالحرام يجرّ الحرام, نعم ندمت وأصبحت نادمًا كثيرًا ولكن بعد فوات الأوان. وكما قلت لك عندما تقع هذه المذكرة بين يديك هل سأكون حينها حيًا أرزق أم لا؟

لكن يا صديقي دعني أخبرك أن كل الجثث الماضية شيء والجثة التي سأرويها لك الآن شيء آخر تمامًا. منذ أن وقعت بين يديّ وأنا أرى ما لا يُرى، كوابيس وتهيؤات، أصبح عقلي شاردًا بسببها في عملي سواء في المشرحة أو في المزاد. جودة عملي صارت أقل. احتفظت بهذه الجثة للنهاية لختم بها مذكرتي أو بالأحرى هي من أرادت أن أحكيها في النهاية...

لا أعلم من أين أبدأ ولكنني مجبر على أن أرويها لك, بعد كل هذه التجارب وكل هذه الجثث أصبحت الطبيب الأول في المشرحة وفي يوم من الأيام جاءتني جثة كان على ملامحها كل الرعب والفزع. لا أعلم ما الذي حل بها ولكنني شعرت بقشعريرة عندما رأيتها لأول مرة, لونها كان أزرق شاحبًا وعيناها مفتوحتان على مصراعيهما، نظرتها كانت هاربة من شيء مفزع ومرعب.

******

كانت جثة عجوز لكنني علمت أنه في الحقيقة يبلغ من العمر اثنين وثلاثين عامًا فقط وبالرغم أن جسده يبدو وكأنه تخطى الستون. رائحتها كانت كريهة جدًا وُجدت في شقتها بعد أن بدأت رائحتها تغزو أنوف سكان الحي. سألت نفسي أين زوجته؟ أين أولاده؟ لكنني علمت أنه شاب أعزب لم يكن يودّ أحدًا ولا يوده أحد! الم يكن له صاحب عزيز أو جار قريب يكتشف موته؟ لكنني أدركت من حديث أهل الحي أنه كان ساحرًا يضع سحره هنا وهناك حتى شعوذ المنطقة بأكملها..

لا أخفي عليك يا صديقي قلقت عندما عرفت ماهيته وطلبت عدم تشريحي للجثة واقترحت أن يتولاها طبيب آخر. لم يكن خوفي منه بل كان خوفي من كل ما هو غير مرئي ولكن بالطبع تم رفض طلبي خاصا أن الجثة أصبحت مرتبطة بقضية جنائية خوفًا من أن تكون جريمة قتل متعمدة بما أنه كان ساحرًا مؤذيًا لكل من حوله,استسلمت وقبلت تشريحها

وجاء اليوم المنشود.

ذهبت إلى المشرحة بصحبة بدوي الساعي وبعض أفراد الشرطة.

دخلت إلى غرفة الجثة وقلت "بسم الله" ثم فجأة اختفت الجثة!

أغلقت عينيّ ثم فتحتهما لكنني لم أرَ شيئًا ندهت الى بدوى وقولت له بصوت منخفض :

- يا بدوي الجثة فين؟

= الجثة أهي يا ريس في مكانها... سلامة نظرك!.

الجثه متواجدة فى مكانها ولكن لم اراها أايعقل!!

- يا بدوي متهزرش معايا مش وقته.

= والله يا ريس موجودة أهي.

- يا بدوي أنا مش شايفها!.

= م م مش شايفها؟! بسم الله الرحمن الرحيم!.

نظرت إلى أفراد الشرطة وقلت لهم إنني بحاجة إلى بعض الخصوصية مع الجثة احترامًا لحرمة الموتى. لكنهم رفضوا رفضًا قاطعًا خوفًا من أي تلاعب أو إخفاء للمعلومات وكان الخوف هنا فى تزوير او عدم الافصاح بكافه التفاصيل.

تظاهرت بالتعب وتركت المشرط يسقط من يدي ثم أمسكت رأسي موحيًا لهم بأنني مصاب بصداع شديد واعتذرت عن عدم قدرتي على التشريح في تلك اللحظة بسبب الإرهاق.

صحيح نسيت تفصيله ابوح بها اليك ياصديقى ان الوقت حاليا نهارى وليس الليل مثل المعتاد.

عدت إلى منزلي وهناك غلبني النعاس.

******

الفصل السادس: اللعنةُ

استيقظت على صوت غريب يناديني باسمي. في البداية كان الصوت غير مفهوم لكنه بدأ يتضح مع الوقت واسمى اكثر وضوحا , قمتُ وتحركتُ إلى مصدر الصوت عشرتي مع الجثث "موتت قلبي".

الصوت ينادي وأنا أردّ بـ "نعم" ينادي وينادي وأردد بكلماتي. ظلَّ هذا الوضع لفترة ليست كبيرة عدتُ إلى نومي وفعلتُ المنبّه وقررتُ الذهاب ليلًا لتشريح الجثة, نمتُ نومًا عميقًا حتى إنّ لم أسمع صوت المنبّه وكأني لم أنم هكذا منذ سنين. صحيتُ على أثر صداع شديد واعتقدتُ أن سببه أني فوتُّ فنجان قهوتي البارحة. حسنًا، شربتُ قهوتي وأخذتُ سيارتي واتجهتُ إلى المنظومة لاختيار الأعضاء السليمة قبل بيعها والتأكد أنها لم تتلف بعد أو جاءت إلينا تالفة. مضى وقتي هناك في المنظومة ثم توجهتُ إلى المشرحة وذهبتُ إلى غرفة الجثة.

******

فتحتُ باب الثلاجة وكاد قلبي أن يتوقف عندما رأيتها تُغمض عينيها وتفتحها مرة أخرى! نعم أعلمُ ذلك فأنا من قلتُ لك لا خوفَ من الجثث ولكن أمرَ هذه الجثة غريب.

حاولتُ نقلها بمفردي إلى سرير التشريح لأن بدوي في إجازة مرضية. وضعتها وأخذتُ المشرط وبدأتُ بالبسملة ثم حصل مثل المرة الماضية... اختفت من أمام نظري! الجنون على حافة أن يصيبني! ماذا فعل هذا الشخص في حياته؟ أسمع عن كلمة "ساحر" ولكن من هو الساحر؟

ماذا يفعل؟ عقلي لا يدرك أفعالهم, تركتُ المشرط وجلستُ على كرسي وفجأة هاجمني النوم. حاولتُ تفاديه ولكنه كان أقوى مني.
رأيتُ كابوسًا بل من شدة حقيقته اعتقدتُ أنه واقع! شاهدتُ الجثة حية تُرزق جالسة في غرفة إضاءتها شموع وهناك نجمة داوود مرسومة على الأرض وبخور في كل مكان ولكن رائحته نشاز لا تتحملها الأنف.
قرون معلقة في كل شبر في الغرفة وهناك إضاءة حمراء أمام النافذه. بعض الأواني بها دماء والنار تزداد وتزداد كلما تحدث هذا الساحر. كان جالسًا يهمهم بلغة غير مفهومة وعندما ينفعل في كلامه تهتز الغرفة!.

******

الساحر هذا جسده يشبه جسدي وكأنني أنا من يجلس هناك! ملامحه قريبة من ملامحي! وفجأة ظهر كائن طويل جدًا أمامه أسود اللون وبدأ بينهما حديث بنفس اللغة التي كان يرددها. أدركتُ هنا أنها لغة الجان.
أمسك الساحر بقطة لا أعلم من أين ظهرت وأخذ السكين وبدأ في ذبحها وكأنها طقوس أو تقديم قربان. ملأ الإناء الذي أمامه ببعض من دمائها ثم أنزل باقي الدماء على جسده وكأنه يستحم بها! ثم أمسك السكين وجرح إصبعًا من أصابعه وحاول أن يخرج منه الدماء ووضع بعض القطرات في الإناء. وهنا أدركتُ أنه يعقد صفقة مع الجان! بعد أن ضحك الجان، قلتُ في نفسي "يا ترى إذا خالف الساحر العهد فماذا سيحلّ به؟ ما هو عقابه؟ هل الموت؟

******

الفصل السابع: التَحذير ألاخير لَا تكُن التَّالِي

بدأ الكائن الأسود هذا أو الجان يتحدث ولكن هذه المرة كانت بلغة عربية مفهومة وكان يتحدث بطلاقة وإذا ساعدني عقلي سأنقل لك يا صديقي الحوار بينه وبين الساحر:

- الفلوس والدهب هيكونوا معايا إمتى؟ أنا صفقتى معاك الغِنى الفاحش.

= طول ما انت تحت طاعتي وبتقدّم ليا القربان هتكون عندك كل شهر.

ولكن...

سكت الجان قليلًا فتحدث الساحر بقلق:

- ولكن إيه؟

= أنا لما طلبت منك الطاعة وأمرتُك بيها انتَ وافقتَ إن التضحية تكون بروحك وروح أي شبيه ليك حتى لو 20%

- يعني إيه؟

= يعنى اى حد شبهك في الجسم والملامح او الهيئه هختاره يكمل طريقك لو خالف العهد هقتله زى ماهقتلك.

نظرتُ إلى جسدي فكان قريبًا من جسد الساحر فأدركتُ أنني أنا هو الشخص الذي سيكمل مهمة الساحر ولكن ما هي مهمة الساحر أصلًا؟

أحسستُ ببرودة شديدة في جسدي من الخوف...

استيقظتُ من النوم وأنا أُطلق جملة واحدة "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" وقررتُ في هذا اليوم أني سأنهي تشريح هذه الجثة الملعونة.

أمسكتُ المشرط ولم ألقِ البسملة كما اعتدت وبدأتُ في فتحها ومع ثاني فتحة انغلقت أضواء الغرفة وسمعتُ الصوت ينادي مرة أخرى باسمي ومع عودة الإضاءة ظهر أمامي نفس الكائن الذي رأيته في منامي, عيونه ليست مثلنا بل هي بالطول وكأنها خط مرسوم فانتفض جسدي من منظره فألقى بكلماته:

- اللعنة نُقلت إليك ويجب عليك الطاعة وإتمام المهمة وتقديم القربان لي.

قبل أن أنطق سمعتُ صوتَ الإنذارِ الخاص بالشرطة وهنا اختفى الكائن تمامًا.

ظللتُ أنظر حولي لم أجده.

جاء الضابط ومعه بعض العساكر ووضعوا في يدي القيود ولكني لم أدرك لماذا؟أليسوا هنا لقضية الجثة وتشريحها؟!

ولكني علمتُ أن المنظومة تم القبض عليها وأباحوا باسمي فاعتقلتني الشرطة.

ملاحظة يا صديقي...

لو جسدُك يشبه جسدي أو جسد الساحر لا تقرأ هذه المذكرة! فاللعنة تنتقل عن طريقها، فإذا أصابتك اللعنة فتأكد أنك شبيه لنا! وإذا لم تُصبك... فاعلم أنك لستَ المنشود...!

تمت